القفص والغرشمارية والكاولية

Les Qufs.

١ — القفص

قال محمد شفيع معاصر الشاه سلطان حسين الصفوي (مترجم القاموس المحيط الى الفارسية باقتراح الشاه المذكور وقد يزيد على الترجمة بعض الفوائد وسمى الترجمة (ترجمان اللغة) شرع بتاليفه في عاشر شهر شعبان سنة ١١١٤ هـ وفرغ منه في العشرين من شهر ربيع الاول سنة ١١١٧ وهذا الكتاب مطبوع في هامش كتاب القاموس في ايران) ما تعريبه . (والقفص طائفة بكرمان وهو معرب كفج او كوفج ويقولون ايضا كوفجان) (١).

٢ — الكاولية والغرشمارية

اذا مررت على البلدان المهمة في ايران وجدت فيها جماعات من قوم يقال لهم (غرشمار بضم الغين المعجمة والراء يليها شين معجمة ساكنة فميم فالف فراء Goroshmar) (٢) او(غريب زاده — Garib– Zadah) (٣) او(غربال بند — Gherbal—Band) (٤) ولا جرم ان هؤلاء يرجعون مع الكاولية الى نسب واحد وكانهما الان شعبتان . والقسم الاعظم من الغرشمارية يزاولون التجارة والحدادة وجميعهم شيعيون اماميون اما موطنهم الاصلي فالمشهور بين مؤرخي الفرس ان بهرام جور (٥) ملك الديار الايرانية كان من اهل الهناء والطرب فدعا من الهند الى ديار ايران نحوا من اثني عشر الفا للهو والطرب والغرشمارية هم من بقايا اولئك النازحين من الهند الى بلاد الفرس بامر الملك الايراني .

وقد يقال للكاولية (بنوساسان) لان هجرتهم الى ديار ايران كانت في عهد الملك الساساني (بهرام جور) ولم ينتشر خبرهم قبل دور آل ساسان .

وكلمة الكاولية اما مشتقة من التكول بمعنى التجمع او نسبة الى كول

---

١) راجع مادة (قفص) (٢) غرشمار فارسي تصحيف غير شمار (اي غير معدود)

٣) غريب زاده فارسي اي ابن الغريب لان هؤلاء في ايران غرباء

٤) غربال بند فارسي اي صانع الغربال لان بعضهم يصنع الغرابيل

٥) بهرام جور معرب بهرام كور .

(Kaul) قرية (١) بفارس او انها في الاصل الكابلية نسبة الى كابل عاصمة افغانستان فحرفها الفرس وقالوا : (الكاولية) كما كانت عادتهم في قلب الباء واوا فكانوا يقولون عوضا عن(خواب) بمعنى النوم (خاو) ، وبدلا عن آب بمعنى الماء : (آو) ولم تزل هذه العادة جارية في بعض القرى الايرانية الى يومنا هذا وهذه الوجوه الثلاثة هي التي ذهب اليها فكرنا القاصر ولم نسبق اليها ونرجح الرأي الاخير الموافق لما ذكرنا من ان اصلهم من الهند وديار الافغان كانت جزءا من الهند في قديم العهد ونزيد على ذلك ان الدمشقيين يسمون هذه الطائفة بالزط(٢) وقد ذكر السلف ان الزط جيل من الهند هذا كله علاوة على ان البسة هؤلاء القوم تشبه البسة الافغان .

واظن ان موطنهم الاول كان شبه جزيرة العرب فانتقلوا منها الى ديار الهند والافغان لانهم ينطقون باكثر الحروف من مخارجها الاصلية الفصيحة وإلم يتمكنوا من اداء بعض الحروف كالضاد وغيرها ، ومن المعلوم ان اداء الحروف من مخارجها من صفات الجنسية العربية ، ولا ينافي ذلك عدم الاستطاعة لاداء بعض الحروف كالضاد فهذه مصر وهي من الاقطار العربية لا تستطيع النطق بحرف الضاد العربية .

ويسمي المصريون الكاولي بـ (الغجري) وهو تصحيف القاجاري نسبة الى قبيلة تركية الاصل كانت منها الاسرة المالكة (في ايران) التي انقرضت ، فالقاجاري غير الكاولي ولا يصح إذن أن نسمي الكاولي بالقاجاري .

سبزوار (ايران) محمد مهدي العلوي

﴿ لغة العرب ﴾ ان اسماء القفص تختلف باختلاف البلاد ، بل تختلف في البلاد الواحدة بحسب مناطقها . فالفرس يسمون القفصي مثلا : قرلاجي وسسماني وزنكنه (بكاف فارسية) وكوباز او كاوباز (بكاف فارسية) الى غيرها وذلك باختلاف ولاياتها .

(١) من الممكن ان هؤلاء القوم سكنوا عند مجيئهم من الهند في كول واطرافها وقد كانت قريبة من عاصمة الملك بهرام

(٢) في القاموس : الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح .

ووطنهم الاصلي – هو كما قلنا – ديار القفص التي كانت من اراضي الهند مدة طويلة واما ان سبب جلبهم الى ايران كان بدعاء بهرام جور طائفة منهم فحديث خرافة على ما يظهر والمشهور ان ما يسوق هؤلاء الناس واشباههم الزرازق فيضربون في اراضي الله نازحين من رقعة الى رقعة اخرى منها .

واما تسمية السلف اياهم ببني ساسان فقد ذكرنا ذلك مع سائر اسمائهم وآدابهم واخلاقهم في « المشرق » البيروتية (٥ : ٨٦٥ وما يليها) فوقعت في ٤٦ ص من المجلة المذكورة وقد ذكرنا فيها ايضا سبب تسميتهم بالكاولية فوافقنا عليها بعد ذلك علماء المشرقيات في ديار الغرب . فقول حضرة الكاتب المتفنن انه لم يسبقه احد الى الذهاب اليه لا يوافق الواقع وكنا قد كتبنا مقالنا في سنة ١٩٠٢ (اي قبل ٢٨ سنة) .

واشتقاق الكاولي من الكول لقرية بفارس لا يوفق المشهور عن اصلهم . واغرب من هذا اشتقاق اسمهم من التكول كأن غير الناس لا يتجمعون وكأن التجمع خاص بهم هذا فضلا عن ان هذا الجيل ليس من العرب حتى يشتق له اسم من لسانهم . والمعقول انهم من كابل (التي يكتبها بعض الكتاب العصريين كابول وهو خطأ فظيع وذلك نقلا عن الكتب المطبوعة في بيروت) .

ولا نوافقه على رأيه ان موطنهم الاصلي هو جزيرة العرب اذ التاريخ والتسمية والاخلاق تظهر الخلاف ، وحسن لفظهم للعربية لا يصدق إلا في اولئك الذين يتنقلون في الديار العربية اللسان وإلا ففي ربوع الغرب اناس منهم لا يحسنون لفظ الحروف الحلقية السامية .

وعندنا ان العجر لفظة تركية الاصل من « كوجر » (بجيم مثلثة فارسية) ومعناها الرحل لانا سمعنا بعضهم يسمونهم الى اليوم كوجر وذلك في شمالي الموصل ومنهم من يسمونهم القرج (بجيم فارسية ايضا) . قال في سمر الليال(١ : ٤٥١) « انه لم يجئ في الكلام عجر ولكن اهل مصر يقولون عجر للطائفة التي يقال لها في بر الشام نور . وفي تونس دقازة واصلهم فيما قيل من الهند » اه. واصل ملوك القاجار من قبيلة تركية رحالة هي الكوجر على رأينا . فنقلت الكلمة الى قاجار تفريسا لها (اي نقلا لها الى الفارسية) .